دور الحركة القومية في العراق في القرن التاسع عشر

م.اثمار رياض عبد الرحيم

جامعة سومر، ذي قار

البريد الإلكتروني Email : Ethmar.Riyadh@uos.edu.iq

الكلمات المفتاحية: القومية، العثمانيون، الانتفاضات المحلية، القومية الكردية، الفكر القومي العربي.

كيفية اقتباس البحث

عبد الرحيم، اثمار رياض ، دور الحركة القومية في العراق في القرن التاسع عشر ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Role of the Nationalist Movement in Iraq in the Nineteenth Century

Assistant Lecturer Athmar Riad Abdul-Rahim
University of Sumer, Dhi Qar, Iraq
Ethmar.Riyadh@uos.edu.iq

Keywords : Nationalism, Ottomans, local uprisings, Kurdish nationalism, Arab nationalist thought.

How To Cite This Article
Abdul-Rahim, Athmar Riad , The Role of the Nationalist Movement in Iraq in the Nineteenth Century, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November 2026,Volume:16,Issue 11.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

This study aims to examine nationalist movements in Iraq during the 19th century by analyzing their causes, development, and political and social impact on Iraq's future. This period witnessed significant transformations within the Ottoman Empire, as the state attempted to centralize governance through administrative and military reforms (Tanzimat, 1839-1876), which led to widespread local resistance from Arab tribes, Kurdish clans, and religious leaders.

The research explores key uprisings in Iraq, such as the Karbala Rebellion of 1843, the tribal revolts of the Muntafiq and Shammar in the south, and Kurdish uprisings in the north, particularly the revolt of Sheikh Ubeydullah Al-Nehri in 1880. Additionally, it focuses on the role of Arab and Kurdish nationalist thought in shaping political consciousness, highlighting how journalism, education, and intellectual elites contributed to fostering Iraqi national identity.

The study finds that local uprisings in 19th-century Iraq were not explicitly nationalist in the modern sense but played a crucial role in fostering opposition to Ottoman rule, paving the way for the emergence of nationalist ideologies in the early 20th century. The research also reveals that Ottoman policies, which favored certain ethnic and sectarian groups over others, deepened social divisions but also encouraged Iraqis to seek more autonomous political alternatives.

The findings conclude that nationalist movements in 19th-century Iraq laid the groundwork for the 1920 Iraqi Revolt against British occupation and contributed to shaping Iraq's national identity in the 20th century. The study recommends further research on the influence of early nationalist thought in Iraq, its role in shaping the modern state, and its connections with broader Arab and Kurdish nationalist movements in the region.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر، من خلال تحليل أسباب نشأتها، تطورها، وتأثيراتها السياسية والاجتماعية على مستقبل العراق. شهدت هذه الفترة تحولات كبيرة داخل الإمبراطورية العثمانية، حيث حاولت الدولة العثمانية فرض مركزية الحكم من خلال الإصلاحات الإدارية والتنظيمات (1839–1876) ، مما أدى إلى تصاعد المقاومة المحلية من القبائل العربية والعشائر الكردية والزعامات الدينية.

تناول البحث أهم الانتفاضات التي شهدها العراق ، مثل ثورة كربلاء عام ١٨٤٣، وتمردات قبائل المنتفق وشمر في الجنوب ، والثورات الكردية في الشمال ، ولا سيما ثورة الشيخ عبيد الله النهري عام ١٨٨٠ .كما ركز البحث على تأثير الفكر القومي العربي والكردي في نشر الوعي الوطني ، من خلال دور الصحافة والتعليم والنخب الفكرية في تعزيز الهوية الوطنية العراقية.

توصل البحث إلى عدة نتائج رئيسية ، أبرزها أن التمردات المحلية في العراق خلال القرن التاسع عشر لم تكن قومية بالمعنى الحديث ، لكنها ساهمت في خلق بيئة سياسية معارضة للحكم العثماني ، مما أدى لاحقاً إلى نضوج الفكر القومي في أوائل القرن العشرين. كما كشفت الدراسة أن السياسات العثمانية التي ميزت بين المكونات الطائفية والإثنية للعراق ساهمت في ترسيخ الانقسامات الاجتماعية ، لكنها في الوقت نفسه دفعت العراقيين إلى البحث عن بدائل سياسية أكثر استقلالية.

خلص البحث إلى أن الحركات القومية العراقية خلال القرن التاسع عشر كانت الأساس الذي مهد لثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني ، كما ساعدت في تشكيل الهوية القومية العراقية في القرن العشرين. ويقترح البحث ضرورة إجراء مزيد من الدراسات حول تأثير الفكر القومي المبكر في العراق على تشكيل الدولة الحديثة ، وعلاقته بالحركات القومية العربية والكردية في المنطقة.

المقدمة

على مدى القرون الماضية ، شهد العالم تحولات سياسية واجتماعية كبرى ، حيث لعبت الحركات القومية دوراً رئيسياً في تشكيل الدول الحديثة وإعادة رسم الخرائط الجغرافية والسياسية. ومنذ أواخر القرن الثامن عشر، بدأت النزعات القومية تأخذ منحى جديداً ، إذ تحولت من مجرد مشاعر ثقافية ولغوية إلى حركات سياسية تهدف إلى تحقيق الاستقلال وتأسيس كيانات وطنية قائمة على الهوية المشتركة. كان لهذه التحولات تأثير عميق على المجتمعات التي كانت خاضعة للحكم الإمبراطوري ، مثل الإمبراطورية العثمانية ، التي سيطرت على أجزاء واسعة من الشرق الأوسط، بما في ذلك العراق ، لعدة قرون.

مع بداية القرن التاسع عشر، شهدت الإمبراطورية العثمانية تحديات كبيرة ، من بينها صعود الحركات القومية في أوروبا وتزايد التدخلات الأجنبية ، مما دفعها إلى تنفيذ إصلاحات سياسية وإدارية بهدف تعزيز سيطرتها على ولاياتها المختلفة ، بما في ذلك العراق. ومع ذلك ، فإن هذه السياسات أثارت ردود فعل واسعة من السكان المحليين، الذين رأوا فيها تهديداً لحرياتهم التقليدية وامتيازاتهم المحلية .ونتيجة لذلك، بدأت موجات من التمردات والانتفاضات بالظهور في مناطق مختلفة من العراق ، مدفوعة بمزيج من الدوافع القبلية والطائفية والقومية ، مما مهد الطريق لنشوء حركات قومية أكثر تنظيماً في أواخر القرن التاسع عشر.

كان العراق خلال هذه الفترة مجتمعاً متعدد الأعراق والطوائف ، حيث كانت العشائر العربية في الجنوب، والقبائل الكردية في الشمال، والجاليات الحضرية في بغداد والموصل والبصرة تلعب أدواراً مختلفة في تشكيل المشهد السياسي والاجتماعي. وبينما كانت النخب السنية المدعومة من العثمانيين تسيطر على المناصب الإدارية والعسكرية، ظلت المجتمعات الشيعية والقبائل الكردية والسكان المحليون في الأهوار والبادية تعاني من التهميش السياسي والاقتصادي. هذا التفاوت في توزيع السلطة أسهم في تأجيج الحركات المعارضة التي طالبت بدرجات مختلفة من الاستقلال أو الحكم الذاتي.

وعلى الرغم من أن الانتفاضات القبلية والثورات الحضرية التي اندلعت في العراق خلال القرن التاسع عشر لم تكن قومية بالمعنى الحديث، إلا أنها ساهمت في ترسيخ تقاليد المقاومة ضد الحكم العثماني، مما أدى إلى بروز وعي سياسي جديد لدى العراقيين. وبحلول أواخر القرن التاسع عشر، بدأت تظهر التيارات القومية الحديثة، متأثرة بالحركات القومية التي نشأت في بلاد الشام ومصر وأوروبا، حيث بدأ المثقفون العراقيون يتبنون أفكاراً جديدة تدعو إلى الاستقلال أو على الأقل إلى حكم ذاتي أوسع ضمن الإمبراطورية العثمانية.

ومع دخول القرن العشرين، أصبح واضحاً أن العراق كان يتحول تدريجياً من مجتمع محكوم بأنظمة تقليدية قائمة على الولاءات القبلية والطائفية إلى مجتمع بدأ يتشكل فيه وعي قومي ناشئ، تم التعبير عنه من خلال الصحافة، والشعر، والأدب، والجمعيات السرية. ورغم أن الدولة العثمانية استطاعت قمع العديد من هذه الحركات، إلا أن الإرث الذي تركته هذه الانتفاضات القومية والفكرية في القرن التاسع عشر استمر في التأثير على العراق حتى ما بعد سقوط الدولة العثمانية، حيث لعبت هذه الحركات دوراً حاسماً في الثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠، والتي كانت امتداداً للصراع الطويل من أجل تقرير المصير.

من هنا، يهدف هذا البحث إلى دراسة الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر، من خلال تحليل دوافعها، وأهم مراحلها، وتأثيرها على الواقع السياسي والاجتماعي للعراق. كما يستعرض البحث دور العوامل الداخلية والخارجية في تشكيل هذه الحركات، وكيف أسهمت في تمهيد الطريق أمام العراق نحو الاستقلال في العقود اللاحقة.

مشكلة البحث :

على مر التاريخ، لعبت الحركات القومية دوراً رئيسياً في إعادة تشكيل المجتمعات والدول، حيث كانت الاستجابة الطبيعية لسياسات الهيمنة والاستعمار والإقصاء السياسي. في العديد من المناطق الخاضعة للحكم الإمبراطوري، مثل الإمبراطورية العثمانية، ظهرت حركات قومية تطالب بالاستقلال أو الحكم الذاتي، كرد فعل على السياسات المركزية والتدخلات الخارجية. كان القرن التاسع عشر، على وجه الخصوص، فترة حاسمة شهدت فيها العديد من الشعوب صعود النزعات القومية، التي أصبحت فيما بعد الأساس لتشكيل الدول القومية الحديثة. في العالم العربي، تأثرت الحركات القومية بتجارب الاستعمار الأوروبي والنهضة الفكرية والتطورات السياسية داخل الدولة العثمانية. وبينما كانت القومية العربية تتطور في بلاد الشام ومصر، لم يكن العراق بعيداً عن هذه التحولات. ورغم كونه جزءًا من الإمبراطورية العثمانية، إلا أن العراق تميز بتنوعه العرقي والطائفي والقبلي، مما جعل الحركات القومية فيه تأخذ أشكالًا

متعددة ومتباينة .ومع ذلك، فإن معظم الدراسات التاريخية ركزت على القومية العربية في سياق القرن العشرين، وتحديداً بعد سقوط الدولة العثمانية واندلاع الثورة العراقية عام ١٩٢٠، بينما لم يتم تناول التحولات القومية في القرن التاسع عشر بشكل معمق، خاصة في العراق، الذي شهد اضطرابات واسعة ومبكرة ضد الحكم العثماني.

في هذا السياق، تبرز مشكلة البحث في أن معظم الدراسات التي تناولت الحركات القومية في العراق ركزت بشكل رئيسي على فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، مع إهمال الجذور الأولى لهذه الحركات خلال القرن التاسع عشر. كما أن هناك نقصاً واضحاً في تحليل العلاقة بين الانتفاضات المحلية والحركات الفكرية التي ساهمت في تشكل الوعي القومي . وبالتالي، فإن الفجوة البحثية تكمن في قلة الدراسات التي تدرس كيف تطورت الحركات القومية العراقية من مقاومة محلية ضد الحكم العثماني إلى حركات قومية ذات أهداف سياسية واضحة، وكيف أثرت هذه الحركات في التوجهات السياسية والاجتماعية للعراق في القرن العشرين.

اشكالية البحث :

بناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي العوامل التي أدت إلى ظهور الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر؟

٢. كيف تأثرت الحركات القومية العراقية بالإصلاحات العثمانية، وبالحركات القومية في باقي أنحاء العالم العربي؟

٣. ما هو الدور الذي لعبته النخب الفكرية والصحافة في نشر الفكر القومي في العراق خلال هذه الفترة؟

٤. كيف أسهمت هذه الحركات في تشكيل المشهد السياسي والاجتماعي في العراق، ومهدت الطريق للحركات القومية في القرن العشرين؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في سد الفجوة التاريخية المتعلقة بجذور الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر، حيث أن معظم الدراسات الحالية تركز على القرن العشرين وما بعد الاستقلال. من خلال تحليل الأبعاد السياسية والاجتماعية والفكرية لهذه الحركات، يهدف البحث إلى فهم التحولات العميقة التي مر بها العراق قبل انهيار الحكم العثماني، مما يساعد على تقديم قراءة أكثر شمولية للتاريخ السياسي العراقي.

أهداف البحث :

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تساهم في فهم نشأة وتطور الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر، وتأثيرها على المشهد السياسي والاجتماعي في البلاد. ومن خلال تحليل العوامل التاريخية والفكرية التي ساهمت في بلورة الوعي القومي، يهدف البحث إلى تقديم رؤية متكاملة حول جذور النزعة القومية في العراق، والتي كانت أساسًا للحركات القومية التي نشأت لاحقاً في القرن العشرين .ويمكن تلخيص الأهداف البحثية فيما يلي:

١. تحليل العوامل التي أدت إلى نشوء الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر، بما في ذلك الإصلاحات العثمانية، والسياسات المركزية، والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي أثرت على المجتمع العراقي.

٢. دراسة تأثير الانتفاضات المحلية ضد الحكم العثماني على الوعي القومي العراقي، من خلال استعراض الثورات والحركات المقاومة التي قادتها القبائل والزعامات المحلية.

٣. استكشاف دور الفكر والثقافة في تشكيل الحركات القومية، من خلال تسليط الضوء على دور الصحافة، والتعليم، والكتّاب والمثقفين العراقيين في نشر الأفكار القومية وتعزيز الشعور بالهوية الوطنية.

٤. مقارنة الحركات القومية في العراق مع نظيراتها في العالم العربي، لفهم مدى ارتباط الفكر القومي العراقي بالحركات القومية في بلاد الشام ومصر، وتأثيره على تشكيل الهوية القومية العراقية.

٥. تحليل انعكاسات الحركات القومية في القرن التاسع عشر على التطورات السياسية والاجتماعية في العراق في القرن العشرين، خاصة فيما يتعلق بالثورة العراقية عام ١٩٢٠، وبروز القومية العربية والكردية في العراق الحديث.

٦. سد الفجوة البحثية المتعلقة بجذور الحركات القومية العراقية، من خلال تقديم دراسة تاريخية معمقة حول كيفية انتقال العراق من حالة المقاومة المحلية ضد الحكم العثماني إلى تبني القومية كإيديولوجيا سياسية تسعى إلى الاستقلال.

من خلال تحقيق هذه الأهداف، يساهم البحث في تقديم رؤية تاريخية متكاملة حول نشأة القومية في العراق، ويساعد في فهم كيفية تشكل الهويات الوطنية في مجتمع متعدد الأعراق والطوائف . كما أن البحث يساهم في تقديم تحليل أعمق للاضطرابات السياسية والاجتماعية التي واجهها

العراق في مراحل لاحقة، مما يساعد على قراءة التاريخ السياسي العراقي في سياق أكثر وضوحاً وشمولية.

الاطار النظري للبحث

الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر

مع بداية القرن التاسع عشر، كان العراق لا يزال جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وكانت أراضيه مقسمة إلى ثلاث ولايات رئيسية :الموصل وبغداد والبصرة .وعلى الرغم من السيطرة العثمانية المباشرة، إلا أن المجتمع العراقي ظل متنوعاً ومتشابكاً في تركيبته الثقافية والإثنية والطائفية .كان الشمال العراقي، خاصة الموصل، أكثر ارتباطاً ببلاد الشام والأناضول، بينما كانت بغداد والمدن الشيعية المقدسة مثل النجف وكربلاء أكثر تأثراً بإيران والقبائل العربية في الجزيرة والصحراء الكبرى (الحصري، د.ت). خلال هذه الفترة، بدأت التيارات القومية في الظهور، لكنها لم تكن موحدة أو واضحة الأهداف، حيث اتخذت أشكالًا مختلفة، كان من بينها الانتفاضات المحلية ضد السلطة العثمانية، بالإضافة إلى البوادر الأولى للفكر القومي العربي والكردي الذي بدأ يتبلور في نهاية القرن التاسع عشر.

تعددت العوامل التي أسهمت في نشوء هذه الحركات، إذ كان بعضها ناتجاً عن سياسات الدولة العثمانية التي حاولت فرض مركزية الحكم، بينما كانت بعض الحركات الأخرى تعبيراً عن الرفض للإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي لم تصب في مصلحة السكان المحليين. كما كان للتأثيرات الفكرية القادمة من الخارج، خصوصاً من بلاد الشام ومصر، دور بارز في نشر مفاهيم جديدة عن الهوية الوطنية والقومية (هرتز، د.ت).

الإصلاحات العثمانية ومقاومة العراقيين :

عندما بدأت الدولة العثمانية في تنفيذ إصلاحاتها المركزية ضمن إطار "التنظيمات" في منتصف القرن التاسع عشر، كان الهدف الأساسي هو إعادة هيكلة الإدارة العثمانية على أسس حديثة تتماشى مع التطورات الأوروبية في العراق، تمثلت هذه الإصلاحات في فرض التجنيد الإجباري، وإعادة تنظيم ملكية الأراضي وفقاً لقانون عام ١٨٥٨، وإنشاء مجالس إدارية محلية بهدف تعزيز دور الدولة المركزية على حساب السلطة التقليدية لشيوخ القبائل ورجال الدين .إلا أن هذه الإجراءات قوبلت برفض واسع من السكان المحليين، حيث اعتبرها زعماء العشائر تهديداً مباشراً لنفوذهم التقليدي، مما أدى إلى تصاعد التوترات وتحولها إلى حركات مقاومة محلية أخذت طابعاً اجتماعياً وسياسياً (شلق، ٢٠٠٢).

الانتفاضات المحلية ضد العثمانيين :

كان من أبرز الحركات المناهضة للسلطة العثمانية **ثورة كربلاء عام ١٨٤٣**، حيث حاولت السلطات العثمانية فرض سيطرتها على المدينة ونزع سلاح سكانها، مما قوبل برفض قاطع من رجال الدين والوجهاء المحليين .تحولت هذه الاحتجاجات إلى مواجهة مسلحة انتهت بإخماد التمرد بعنف شديد، حيث قتل عدد كبير من السكان، وتم نهب المدينة بالكامل، مما أدى إلى تعزيز العداء للحكم العثماني بين الشيعة (أمين، د.ت). لم تكن هذه الحادثة معزولة، بل كانت جزءاً من سلسلة من التمردات في مناطق أخرى من العراق، مثل النجف والبصرة، فضلًا عن الاحتجاجات المتكررة في بغداد، والتي كانت مركزًا رئيسيًا للصراع بين القوات العثمانية والعشائر والوجهاء المحليين (برو، ١٩٨٩).

وفي الجنوب، خاضت القبائل العربية الكبرى، مثل قبائل المنتفق وشمر والظفير، معارك مفتوحة مع القوات العثمانية، حيث رفض زعماؤها دفع الضرائب والتخلي عن استقلالهم الذاتي. ورغم حملات القمع العثمانية العنيفة، إلا أن الدولة لم تتمكن من فرض سيطرتها الكاملة على هذه المناطق، حيث واصلت القبائل تحدي الحكم العثماني عبر وسائل مختلفة، مثل رفض التجنيد الإجباري، والامتناع عن دفع الضرائب (أنطونيوس.١٩٨٧) .

التطورات القومية في كردستان العراق :

لم تقتصر الحركات المناهضة للحكم العثماني على العرب فحسب، بل شهدت المناطق الكردية في شمال العراق نوعاً مختلفاً من المقاومة السياسية والعسكرية .كانت كردستان العراقية محكومة تاريخياً من قبل إمارات شبه مستقلة، مثل إمارة بابان في السليمانية، التي حافظت على استقلال نسبي حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر. ومع ذلك، فإن الدولة العثمانية، في إطار سعيها لتوحيد حكمها، بدأت بتفكيك هذه الإمارات وإخضاعها للسلطة المركزية، مما أدى إلى اندلاع عدة انتفاضات كردية.

كانت ثورة الشيخ عبيد الله النهري عام ١٨٨٠ من أهم هذه الحركات، حيث طالب بإنشاء دولة كردية مستقلة بعيداً عن سيطرة العثمانيين والفرس. واستطاع توحيد عدة عشائر كردية تحت رايته، وشن هجمات ضد العثمانيين، إلا أن الدولة العثمانية تمكنت من قمع الحركة ونفيه إلى إسطنبول، لكنها شكلت بداية تبلور حركة قومية كردية منظمة في العراق (قلعجي.١٩٩٤).

ظهور الفكر القومي في العراق :

بالتوازي مع هذه الحركات المسلحة، بدأت في أواخر القرن التاسع عشر بوادر تيار فكري قومي بين المثقفين العراقيين، مستوحى من النهضة الفكرية في بلاد الشام والقاهرة .كان لظهور

الصحافة الحديثة دورٌ محوري في هذا التحول، حيث شهد العراق عام ١٨٦٩ إصدار أول صحيفة عربية محلية، وهي جريدة الزوراء، التي وفرت منبراً مهماً لمناقشة قضايا الإصلاح السياسي والهوية الوطنية (الغزالي،٢٠٠٥). كما بدأ بعض المثقفين العراقيين بتشكيل جمعيات قومية سرية، **مثل جمعية "العهد"**، التي ضمت ضباطًا عراقيين في الجيش العثماني، وكان لها دور لاحق في الدعوة إلى استقلال العراق عن الدولة العثمانية (كيالي، د.ت).

النتائج والتأثيرات طويلة الأمد :

مع نهاية القرن التاسع عشر، كان العراق قد شهد تحولات سياسية واجتماعية عميقة ساهمت في تشكيل وعيه القومي .ورغم أن هذه الحركات لم تنجح في إنهاء السيطرة العثمانية مباشرة، إلا أنها مهدت الطريق لظهور الحركات القومية في القرن العشرين، والتي قادت العراق لاحقًا إلى الاستقلال عن العثمانيين ثم الانتداب البريطاني (حرب، د.ت).

إن هذه الفترة لم تكن مجرد مرحلة من الاضطرابات السياسية، بل كانت الأساس الذي قامت عليه الهوية الوطنية العراقية الحديثة .فقد تبلورت خلالها ملامح أولية للقومية العربية والكردية، وأصبحت مقاومة الحكم الأجنبي جزءاً أساسياً من تاريخ العراق السياسي والاجتماعي، مما جعل القرن التاسع عشر مرحلة مفصلية في تطور الفكر القومي في العراق (زرزور، ١٩٩٩).

الانتفاضات الإقليمية وحركات الحكم الذاتي المحلية في العراق خلال القرن التاسع عشر :

خلال القرن التاسع عشر، سعت الدولة العثمانية إلى فرض سلطتها المركزية على العراق، لكن محاولاتها قوبلت بمقاومة شديدة من قبل القبائل والمجتمعات المحلية التي كانت تتمتع بحكم ذاتي واسع النطاق. لم تكن السلطة العثمانية قادرة على فرض سيطرتها الكاملة على جميع أنحاء البلاد، خاصة في المناطق الصحراوية والمستنقعات الجنوبية، حيث احتفظت العشائر والقبائل بسلطتها التقليدية، ما أدى إلى نشوء مناطق حكم ذاتي فعلية تحت سيطرة شيوخ القبائل (Cleveland & Bunton, 2016) ، حاولت الدولة العثمانية تعزيز نفوذها من خلال فرض الضرائب، وتطبيق التجنيد الإجباري، وتجريد الميليشيات القبلية من أسلحتها، لكن هذه السياسات أدت إلى اندلاع سلسلة من التمردات والصراعات المحلية التي شكلت جزءاً أساسياً من تاريخ العراق في تلك الفترة.(Batatu, 1978)

تمرد كربلاء (١٨٤٣): صدام السلطة العثمانية بالمجتمع الشيعي

كانت مدينة كربلاء، باعتبارها واحدة من أقدس المدن الشيعية، مركزاً لمقاومة الهيمنة العثمانية. في عام ١٨٤٣، حاولت السلطات العثمانية فرض سيطرتها الكاملة على المدينة من خلال نزع سلاح الميليشيات المحلية وفرض ضرائب جديدة، لكن هذه الإجراءات قوبلت بغضب شديد من

قبل السكان المحليين الذين اعتبروا هذه المحاولات انتهاكًا لاستقلال مدينتهم (Fattah & Caso, 2009)، سرعان ما تصاعدت التوترات إلى تمرد مسلح واسع النطاق قادته شبكات من رجال الدين والتجار المحليين وحتى الجماعات المسلحة التي نشأت داخل المدينة.

ردت الدولة العثمانية على هذا التمرد باجتياح كربلاء في يناير ١٨٤٣، حيث قام الجيش العثماني بقتل المئات من السكان، ونهب المدينة، وتدمير العديد من المعالم الدينية، ما أدى إلى تعزيز الشعور المناهض للحكم العثماني بين الشيعة في العراق. كانت هذه المجزرة بمثابة نقطة تحول في العلاقة بين العثمانيين والطائفة الشيعية، حيث عززت مشاعر الاضطهاد والتمييز الطائفي وأصبحت مصدراً دائماً للسخط السياسي والاجتماعي ضد الدولة العثمانية (Cleveland & Bunton, 2016).

المقاومة القبلية في جنوب العراق: المنتفق وشمر والظفير

إلى جانب الانتفاضات الحضرية، شهد جنوب العراق مقاومة قوية ضد الحكم العثماني من قبل القبائل العربية القوية، مثل قبائل المنتفق وشمر والظفير، التي كانت تسيطر على مساحات شاسعة من الأراضي. كانت قبيلة المنتفق، بقيادة آل سعدون، واحدة من أبرز القوى القبلية في المنطقة، حيث كانت تدير أراضيها بشكل مستقل عن الإدارة العثمانية، متجاهلة الأوامر الصادرة من بغداد (Batatu, 1978) .

حاول العثمانيون مراراً فرض سيطرتهم على المنتفق من خلال الحملات العسكرية والسياسات الإدارية، لكنهم واجهوا مقاومة شرسة. وعندما تولى مدحت باشا حكم العراق في عام ١٨٧٠، تبنى استراتيجية مختلفة تهدف إلى دمج القبائل في النظام الإداري العثماني بدلاً من مواجهتها بالقوة العسكرية. ومن أبرز سياساته كان إنشاء مدينة الناصرية، التي سُميت على اسم شيخ قبيلة المنتفق، ناصر آل سعدون، حيث سعى إلى استقطاب زعماء القبائل وجعلهم جزءاً من البيروقراطية العثمانية عبر منحهم امتيازات اقتصادية، مثل تسجيل الأراضي بأسمائهم وفقاً لقانون الأراضي لعام ١٨٥٨.(Fattah & Caso, 2009)

ورغم أن هذه السياسة نجحت إلى حد ما في إدخال بعض زعماء القبائل ضمن المنظومة العثمانية، إلا أن التمردات القبلية لم تتوقف. فعندما زادت الدولة العثمانية من مطالبها الضريبية وفرضت التجنيد الإجباري، عاد الشيوخ إلى حمل السلاح ضد الحكم العثماني، مما أدى إلى دورات متكررة من الانتفاضات والقمع العسكري والمفاوضات التي استمرت حتى نهاية القرن التاسع عشر.(Dawisha, 2005)

الانتفاضات المحلية الأخرى: مقاومة في الموصل والأهوار

لم تقتصر التمردات على جنوب العراق، بل شهدت مدينة الموصل أيضاً اضطرابات متكررة، حيث حاول الوجهاء المحليون والقبائل المحيطة بالمدينة مقاومة الضرائب الباهظة التي فرضتها السلطات العثمانية .(Cleveland & Bunton, 2016) في عدة مناسبات، تعاون زعماء القبائل مع المسؤولين المحليين في الموصل لمواجهة الحاكم العثماني، ونجحوا في بعض الأحيان في إجباره على تقديم تنازلات أو التراجع عن سياسات معينة.

في مناطق الأهوار جنوب العراق، شكل سكان المستنقعات، المعروفون باسم المعدان، نموذجاً آخر من المقاومة ضد الحكم العثماني. عاش هؤلاء السكان في بيئة جغرافية صعبة، ما جعلهم أكثر قدرة على مقاومة محاولات فرض الضرائب والتجنيد بسبب صعوبة الوصول إلى مناطقهم، اضطر العثمانيون إلى شن حملات عسكرية مكلفة لمحاولة إخضاعهم، لكنها فشلت في كثير من الأحيان .(Tripp, 2000)

التأثير طويل الأمد للتمردات المحلية على الفكر القومي

على الرغم من أن معظم هذه الانتفاضات لم تكن ذات طابع قومي بالمعنى الحديث، إلا أنها ساعدت في ترسيخ إرث مقاومة السلطة المركزية في الوعي العراقي. فقد نشأت في أوساط العراقيين ثقافة مقاومة ضد الحكم العثماني، كانت قائمة على فكرة أن السلطات القادمة من الخارج تسعى فقط لاستغلال السكان المحليين دون منحهم أي حقوق سياسية. كما أن هذه الانتفاضات أفرزت قادة محليين وزعماء قبائل، لعب بعضهم أدوارًا بارزة في الحركات القومية التي ظهرت لاحقًا ضد الاحتلال البريطاني بعد سقوط الدولة العثمانية.(Batatu, 1978)

ساهمت هذه الحركات أيضاً في تزايد الشعور بضرورة إنشاء نظام سياسي يراعي الخصوصيات المحلية ويضمن الحكم الذاتي، وهو ما انعكس لاحقاً في المطالب القومية التي بدأت بالظهور في أوائل القرن العشرين. فبينما كان العثمانيون يسعون إلى فرض نموذج مركزي للحكم، كان العراقيون في العديد من المناطق يطمحون إلى بناء كيانات ذات استقلالية، سواء من خلال النظام القبلي التقليدي أو من خلال أشكال جديدة من التنظيم السياسي .(Dawisha, 2005)

كانت محاولات الدولة العثمانية لتعزيز سيطرتها على العراق خلال القرن التاسع عشر محفوفة بالتحديات، حيث قوبلت سياساتها بموجة من الانتفاضات المحلية التي عكست رفض السكان للحكم المركزي ورغبتهم في الاحتفاظ بسلطتهم التقليدية .وقد لعبت هذه التمردات دوراً حاسماً في إضعاف قبضة العثمانيين على العراق، ومهدت الطريق لظهور الحركات القومية في العقود اللاحقة. ومع أن هذه الانتفاضات لم تكن ذات طابع قومي واضح، إلا أنها ساعدت في تشكيل

وعي سياسي جديد قائم على مقاومة الحكم الأجنبي والمطالبة بالحكم الذاتي، وهو ما أصبح لاحقاً جزءاً من الهوية القومية العراقية الحديثة.

اليقظة الفكرية والقومية العربية في العراق خلال القرن التاسع عشر

في أواخر القرن التاسع عشر، وبالتزامن مع الانتفاضات المسلحة ضد الحكم العثماني، بدأ تيار فكري جديد يتبلور في أوساط النخبة المتعلمة في الولايات العربية التابعة للإمبراطورية العثمانية، بما في ذلك العراق. كانت هذه الفترة بمثابة بداية لظهور الوعي القومي العربي الحديث، حيث أدى انتشار الصحافة والتعليم الحديث والسفر إلى تشكيل أفكار جديدة حول الهوية والانتماء. بدأ العرب في المشرق العربي، بما في ذلك العراق، في تطوير إحساس متزايد بالانتماء إلى أمة واحدة، مستوحين ذلك من مفاهيم الوطنية التي انتشرت في أوروبا خلال القرن التاسع عشر (Dawisha, 2005).

دور النهضة الفكرية في تشكيل القومية العربية

كان لهذه الحركة الفكرية جذور عميقة في النهضة العربية (النهضة الفكرية) التي انطلقت من بلاد الشام ومصر، حيث ساهم انتشار المدارس الحديثة التي أنشأها المبشرون الغربيون، إلى جانب ازدهار الصحافة والأدب العربي، في تشكيل وعي جديد بين النخب العربية حول الهوية الوطنية. في هذه الفترة، بدأ المفكرون العرب في التعبير عن استيائهم من الحكم العثماني، معتبرين أن الأتراك قد خانوا الإسلام والأمة العربية، وأصبحوا يرون أن ضعف الدولة العثمانية ناتج عن انحراف السلاطين العثمانيين عن مبادئ الإسلام الأصيلة، بينما ربطوا تقدم أوروبا بالقيم الإسلامية التي كان العرب هم روادها في العصور الوسطى (Cleveland & Bunton, 2016).

كان لهذه الأفكار تأثير واسع النطاق، حيث بدأ المثقفون العرب في نشر كتاباتهم التي تدعو إلى الإصلاح وإعادة إحياء مجد العرب. كان من بين هؤلاء المفكرين إبراهيم اليازجي، وهو كاتب ومفكر لبناني مسيحي، الذي دعا العرب في عام ١٨٦٨ إلى "استعادة مجدهم المفقود والتخلص من نير الأتراك ."على الرغم من أن هذه الأفكار كانت راديكالية في ذلك الوقت، إلا أنها لاقت صدى واسعاً في الأوساط الفكرية العربية، وانتشرت من خلال الصحف والمنشورات السرية التي تم تهريبها عبر المراكز الثقافية الكبرى في الإمبراطورية العثمانية، بما في ذلك بغداد (Dawisha, 2005).

دور الصحافة في نشر الفكر القومي في العراق

بحلول أواخر القرن التاسع عشر، بدأت الأفكار القومية العربية تجد طريقها إلى العراق، حيث تأثر المثقفون العراقيون بالإنتاج الفكري القادم من بيروت ودمشق والقاهرة. أحد العوامل الرئيسية التي ساعدت على نشر هذه الأفكار كان ظهور الصحافة العربية في العراق، حيث تأسست عام ١٨٦٩ في بغداد أول صحيفة عراقية ناطقة بالعربية، وهي جريدة الزوراء، التي أنشأها مدحت باشا، أحد أبرز الولاة الإصلاحيين العثمانيين.(Cleveland & Bunton, 2016)

لعبت الصحافة دوراً محورياً في تعزيز الشعور بالهوية القومية، حيث وفرت منبراً لمناقشة قضايا الحكم والإدارة، وساهمت في إحياء التراث العربي والإسلامي. لم تكن جريدة الزوراء وحدها، فقد بدأت النوادي الأدبية والجمعيات الثقافية في بغداد والمدن العراقية الأخرى بعقد لقاءات لمناقشة الأفكار الجديدة حول القومية العربية، وكان هذا الأمر جزءاً من ظاهرة أوسع شهدتها المنطقة العربية في تلك الفترة .(Fattah & Caso, 2009)

التأثيرات الفكرية على النخبة العراقية

في أواخر القرن التاسع عشر، بدأ الضباط والمسؤولون العرب داخل الجيش العثماني والإدارة العثمانية في التشكيك في سياسات الدولة، خاصة بعد أن تبنت إسطنبول توجهاً نحو تتريك الإدارة وتعزيز سيطرة العناصر التركية على حساب العرب. في العقود الأخيرة من الحكم العثماني، بدأ المسؤولون العراقيون الذين درسوا في المدارس العسكرية العثمانية في تكوين وعي سياسي جديد، وأصبح بعضهم أعضاءً في جمعيات قومية سرية تدعو إلى منح العرب مزيداً من الحقوق داخل الإمبراطورية.(Dawisha, 2005)

ثورة تركيا الفتاة وأثرها على الفكر القومي العربي في العراق

في عام ١٩٠٨، قاد حزب الاتحاد والترقي العثماني ما أصبح يعرف بـ ثورة تركيا الفتاة، والتي نجحت في فرض إصلاحات دستورية في الإمبراطورية العثمانية .في البداية، رحب المثقفون العرب بهذه الثورة، حيث كانوا يأملون أن تمنحهم فرصة أكبر للمشاركة في الحكم الذاتي ضمن الدولة العثمانية. لكن سرعان ما خاب أملهم عندما بدأ النظام الجديد في فرض سياسة التتريك، وإجبار العرب على تبني اللغة والثقافة التركية، مما أدى إلى إثارة مشاعر الاستياء بين النخب العربية .(Cleveland & Bunton, 2016)

أدى ذلك إلى إنشاء منظمات قومية سرية في العراق، مثل جمعية العهد، التي تأسست في عام ١٩١٣ وضمت ضباطاً عراقيين في الجيش العثماني .كانت هذه الجمعية، إلى جانب منظمات أخرى مماثلة، نتاجاً مباشراً لليقظة الفكرية القومية التي بدأت في القرن التاسع عشر .وبحلول

عام ١٩١٤، كان لجمعية العهد آلاف الأعضاء في بغداد والموصل، وجميعهم ملتزمون بفكرة إنشاء دولة عربية مستقلة عن الحكم العثماني.(Dawisha, 2005)

الشعراء والمثقفون العراقيون ودورهم في تعزيز الفكر القومي

كان للشعراء والمثقفين العراقيين دور بارز في نشر الفكر القومي بين العامّة. برز في هذه الفترة معروف الرصافي وجميل الزهاوي، وهما شاعران استخدما الشعر كوسيلة لنشر الوعي القومي وتعزيز الشعور بالانتماء العربي .(Fattah & Caso, 2009) . كانت قصائدهم تعكس رفضاً صريحاً للحكم العثماني ودعوة إلى التحرر والانعتاق من السيطرة التركية، كما لعبا دوراً في إثارة مشاعر الوطنية بين الشباب العراقي المتعلم.

أثر اليقظة الفكرية على التوجهات السياسية في العراق

مع اقتراب نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت الأفكار القومية متجذرة بعمق في أوساط المثقفين العراقيين، حيث باتوا يرون أن العرب بحاجة إلى نظام حكم يراعي هويتهم وتاريخهم وثقافتهم. بدأ العراقيون المتعلمون، سواء كانوا سنة أو شيعة، مسلمين أو مسيحيين، في تبني خطاب مشترك حول ضرورة إنهاء التمييز العثماني ضد العرب، والسعي نحو تحقيق الحكم الذاتي أو الاستقلال (Cleveland & Bunton, 2016).

بحلول أوائل القرن العشرين، كان واضحاً أن الفكر القومي قد أصبح جزءاً من الثقافة السياسية العراقية، مما أدى إلى مشاركة العراق في الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ ضد الحكم العثماني . وعلى الرغم من أن العراق لم يحصل على استقلاله الكامل إلا بعد الحرب العالمية الأولى، فإن الأسس الفكرية لهذا الاستقلال كانت قد وضعت في أواخر القرن التاسع عشر، عندما بدأ المفكرون والصحفيون والشعراء العراقيون في إعادة تعريف هويتهم والانفصال فكرياً عن الهيمنة العثمانية.

شكلت اليقظة الفكرية في أواخر القرن التاسع عشر مرحلة حاسمة في تطور الهوية القومية العربية في العراق .من خلال الصحافة، والشعر، والجمعيات السرية، والاحتكاك بالفكر القومي الناشئ في بلاد الشام ومصر، بدأ العراقيون في إدراك هويتهم كجزء من أمة عربية أوسع. وعلى الرغم من أن هذه الحركة لم تؤدِ إلى الاستقلال الفوري، إلا أنها مهدت الطريق أمام نضال العراقيين في العقود التالية ضد الحكم العثماني، ثم الاستعمار البريطاني.

الحركات القومية الكردية المبكرة في العراق خلال القرن التاسع عشر

بالتزامن مع بروز الحركات القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر، شهدت المناطق الكردية في العراق والمناطق المجاورة تحولات سياسية مهمة، حيث بدأت الحركات القومية

الكردية تأخذ شكلها الأولي وتسعى إلى تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي عن الحكم العثماني والفارسي. الأكراد، كجماعة عرقية ذات لغة وثقافة متميزة، كانوا يعيشون في مناطق جبلية تمتد عبر الإمبراطورية العثمانية والدولة الفارسية، وكانوا في الغالب منظمين ضمن إمارات شبه مستقلة حافظت على درجة كبيرة من الحكم الذاتي. ومع ذلك، بدأت هذه الإمارات تفقد نفوذها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب السياسات المركزية العثمانية التي هدفت إلى تفكيك هذه الكيانات وإدماجها بشكل كامل في الإدارة العثمانية.(Tejel, 2009)

شهدت الفترة الممتدة بين أوائل القرن التاسع عشر وأواخره محاولات كردية عديدة للمطالبة بالحكم الذاتي، ولكن يمكن اعتبار انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري في عام ١٨٨٠ أول حركة كردية منظمة سعت صراحة إلى إقامة كيان كردي مستقل. هذه الانتفاضة، رغم فشلها، وضعت الأسس الأولى للقومية الكردية الحديثة، حيث بدأت الهوية القومية الكردية تتبلور كفكرة سياسية وليس مجرد تطلع محلي لحكم ذاتي محدود.(McDowall, 2004)

الإمارات الكردية قبل الإصلاحات العثمانية

على مدى قرون، حكمت المناطق الكردية في العراق مجموعة من الإمارات شبه المستقلة، كان أبرزها إمارة بابان، التي تمركزت في مدينة السليمانية وسيطرت على أجزاء كبيرة من كردستان العراق. خلال أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، حكم هذه الإمارة عبد الرحمن باشا(1789–1813) ، الذي كان يتمتع بشخصية قوية وسعى إلى تعزيز استقلال إماراته عن كل من العثمانيين والفرس .(Tejel, 2009)

إلى جانب إمارة بابان ، كانت هناك إمارات كردية أخرى، مثل إمارة سوران في منطقة راوندوز، وإمارة بهدينان في دهوك، وإمارة حكاري. كانت هذه الإمارات تدار من قبل أسر حاكمة وراثية حافظت على درجة من الاستقلال عن السلطنة العثمانية، لكنها كانت تدفع الضرائب للباب العالي في إسطنبول في مقابل الاحتفاظ بحكمها المحلي.(McDowall, 2004)

مع بدء الإصلاحات العثمانية المعروفة بـ التنظيمات(1839–1876) ، بدأ السلطان محمود الثاني وخلفاؤه سياسة جديدة تهدف إلى تفكيك الإمارات المحلية وفرض حكم مركزي مباشر، مما أدى إلى صراعات متكررة بين الأكراد والإدارة العثمانية. في عام ١٨٥٠، نجحت القوات العثمانية في إخماد إمارة بابان وإنهاء استقلالها، وتم إخضاعها تماماً لحكم بغداد العثماني. أدى ذلك إلى تحول السلطة الكردية من الأسر الحاكمة التقليدية إلى الزعامات الدينية والقبلية، الذين أصبحوا المحور الجديد للمقاومة الكردية ضد الحكم العثماني.(Tejel, 2009)

ثورة الشيخ عبيد الله النهري (١٨٨٠): البداية الفعلية للحركة القومية الكردية

على الرغم من أن النزعات الاستقلالية الكردية لم تكن جديدة في القرن التاسع عشر، إلا أن انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري في عام ١٨٨٠ كانت أول محاولة واضحة لتوحيد الأكراد في كيان قومي مستقل .كان الشيخ عبيد الله زعيماً دينياً وزعيماً قبلياً من منطقة نهري الواقعة في كردستان العثمانية، وكان يتبع الطريقة النقشبندية الصوفية، التي منحته نفوذاً دينياً وسياسياً واسعاً بين القبائل الكردية.

قاد الشيخ عبيد الله تمرداً واسع النطاق شمل مناطق في كردستان العثمانية والفارسية، حيث نجح في تجنيد آلاف المقاتلين من القبائل الكردية، وكان هدفه المعلن هو إنشاء دولة كردية مستقلة بعيدًا عن الحكم العثماني والفارسي(McDowall, 2004). لم تكن هذه مجرد انتفاضة قبلية ضد زيادة الضرائب أو التجنيد الإجباري، بل كانت إعلاناً صريحاً عن ظهور هوية قومية كردية موحدة تسعى إلى تحقيق الاستقلال السياسي للأكراد.

في عام ١٨٨٠، تمكنت قوات عبيد الله النهري من السيطرة على عدة مدن وقرى كردية، لكن الدولة العثمانية، بدعم من الدولة الفارسية، تمكنت في النهاية من إخماد الثورة بالقوة، حيث تم القبض على الشيخ عبيد الله ونفيه إلى إسطنبول عام ١٨٨٣. على الرغم من قمع الانتفاضة، إلا أنها شكلت نقطة تحول في الفكر القومي الكردي، حيث بدأ الأكراد يدركون ضرورة التنظيم السياسي لتحقيق تطلعاتهم الوطنية.(Tejel, 2009)

الآثار طويلة الأمد للانتفاضة على القومية الكردية

بعد قمع ثورة الشيخ عبيد الله، حاولت الدولة العثمانية اتباع أساليب مختلفة لإدارة الأكراد، حيث قام السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء فرق الفرسان الحميدية ، وهي وحدات عسكرية تتكون من مقاتلين أكراد كان الهدف منها كسب ولاء بعض القبائل الكردية وتحويلها إلى قوة عسكرية تخدم المصالح العثمانية .(McDowall, 2004)

وعلى الرغم من نجاح العثمانيين في تقويض الحكم الذاتي الكردي التقليدي، إلا أن الهوية القومية الكردية استمرت في التطور، حيث بدأ عدد من المثقفين الأكراد في تأسيس جمعيات ثقافية وسياسية سرية تدعو إلى إحياء الثقافة الكردية وتعزيز الوعي القومي .بحلول أوائل القرن العشرين، بدأت تظهر منظمات قومية كردية مثل جمعية نهضة كردستان، التي سعت إلى تنظيم الأكراد سياسياً وتحقيق حكم ذاتي لهم داخل الدولة العثمانية.(Tejel, 2009)

كما أن بروز القومية العربية والتركية في أواخر القرن التاسع عشر ساهم أيضاً في تنشيط الهوية القومية الكردية، حيث بدأ الأكراد يشعرون بأنهم مجموعة مستقلة ثقافياً وسياسياً، وليست مجرد جزء من الدولة العثمانية.(McDowall, 2004)

يمكن اعتبار القرن التاسع عشر مرحلة انتقالية مهمة في تطور القومية الكردية، حيث بدأ الأكراد في الانتقال من مرحلة الولاءات القبلية والمحلية إلى تبني مفهوم أوسع للأمة الكردية .ومع أن الانتفاضات الكردية المبكرة لم تحقق الاستقلال، إلا أنها وضعت الأساس الفكري والتنظيمي للحركات القومية الكردية التي ستتطور في القرن العشرين. كانت ثورة الشيخ عبيد الله النهري عام ١٨٨٠ نقطة الانطلاق الفعلية للحركة القومية الكردية، حيث كانت أول انتفاضة منظمة سعت إلى إنشاء دولة كردية مستقلة، ورغم فشلها، إلا أنها أصبحت رمزاً للنضال القومي الكردي، ومهدت الطريق أمام محاولات لاحقة لتحقيق الحكم الذاتي أو الاستقلال.

تأثير الحركات القومية على المشهد السياسي والاجتماعي في العراق خلال القرن التاسع عشر

على الرغم من أن الحركات القومية والانتفاضات المحلية التي شهدها العراق في القرن التاسع عشر لم تحقق نجاحاً فورياً في التخلص من الحكم العثماني، إلا أنها تركت تأثيراً عميقاً على النسيج السياسي والاجتماعي للعراق .فقد ساهمت هذه الحركات في إضعاف شرعية الحكم العثماني، وخلقت إرثاً من المقاومة ضد السلطة المركزية استمر لاحقاً ضد القوى الاستعمارية الجديدة، خاصة بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى. وعلى المستوى الاجتماعي، ساعدت هذه الحركات في تعزيز الهويات المحلية والقبلية والطائفية، لكنها في الوقت ذاته وضعت الأسس الأولية لظهور الهوية الوطنية العراقية في القرن العشرين.(Cleveland & Bunton, 2016)

الأثر السياسي: تآكل النفوذ العثماني وصعود القومية

كانت التحديات التي واجهتها الدولة العثمانية في العراق خلال القرن التاسع عشر سبباً رئيسياً في إضعاف سيطرتها السياسية على البلاد .فقد كان العراق واحداً من أكثر الولايات اضطراباً بسبب المقاومة القبلية والانتفاضات الحضرية، حيث لعبت القبائل العربية في الجنوب، والعشائر الكردية في الشمال، ورجال الدين في المدن المقدسة دوراً أساسياً في تقويض سلطة العثمانيين. كل هذه الحركات أدت إلى خلق حالة من عدم الاستقرار السياسي، جعلت إدارة العراق أمراً بالغ الصعوبة بالنسبة للعثمانيين.(Dawisha, 2005)

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، كان العراق بالفعل في حالة استعداد للانفصال عن الدولة العثمانية. فالتاريخ الطويل من الانتفاضات القبلية والثورات الحضرية جعل العراقيين أكثر ميلاً

للسعي نحو الحكم الذاتي. وعندما قامت الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦، كان للعراق نصيب من التأثيرات، حيث بدأت القبائل العربية تنظر إلى الاستقلال كهدف واقعي يمكن تحقيقه بعد زوال الحكم العثماني(Fattah & Caso 2009,)

إحدى أهم اللحظات التي جسدت تأثير الحركات القومية في القرن التاسع عشر على المستقبل السياسي للعراق كانت ثورة العشرين عام ١٩٢٠، عندما انتفض العراقيون ضد الاحتلال البريطاني، مستلهمين تجربتهم الطويلة في مقاومة العثمانيين. كانت هذه الثورة، التي قادها تحالف بين العرب السنة والشيعة والأكراد، بمثابة استمرار للمقاومة التي بدأت في القرن التاسع عشر ضد الحكم العثماني، ولكن هذه المرة ضد سلطة أجنبية جديدة.(Tripp, 2000)

إرث الحكم العثماني وتأثيراته على بنية الدولة العراقية

على الرغم من أن العثمانيين حافظوا على السيطرة السياسية على العراق حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، إلا أن سياساتهم تركت إرثاً من الانقسامات السياسية والاجتماعية التي أثرت على تشكيل الدولة العراقية الحديثة. ومن بين هذه التأثيرات:

- **هيمنة النخبة السنية على الإدارة:** خلال الحكم العثماني، تم تفضيل العرب السنة في المناصب الإدارية والعسكرية،بينما ظل الشيعة محرومين من المناصب العليا، وهو ما أدى إلى اختلال التوازن السياسي الذي استمر حتى بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة (Cleveland & Bunton,2016).
- **تقوية الزعامات القبلية** : حاول العثمانيون فرض مركزية الحكم، لكنهم اضطروا إلى الاعتماد على شيوخ القبائل كوسطاء بين الدولة والمجتمع المحلي، مما عزز من نفوذ العشائر وزعاماتها التقليدية، وهو ما استمر لاحقاً خلال فترات الاحتلال والاستقلال.(Fattah & Caso, 2009)
- تأخر بناء مؤسسات الدولة الحديثة: بسبب الاضطرابات المستمرة والانتفاضات المتكررة، لم يتمكن العثمانيون من تطوير إدارة حكومية فعالة في العراق، مما جعل البلاد تعتمد على الهياكل القبلية والطائفية بدلاً من المؤسسات المركزية الحديثة .(Dawisha, 2005)

الأثر الاجتماعي: تعزيز الهويات الطائفية والقبلية

إلى جانب التأثير السياسي، أدت التجارب التاريخية للعراق خلال القرن التاسع عشر إلى ترسيخ هويات اجتماعية متباينة، حيث دخلت البلاد القرن العشرين وهي تحمل إرثاً من الانقسامات القبلية والطائفية التي جعلت عملية بناء هوية وطنية موحدة أكثر صعوبة.

عدم المساواة بين الطوائف والأقاليم نتيجة للسياسات العثمانية، برزت فجوات اجتماعية واضحة بين مكونات المجتمع العراقي:

- النخبة السنية الحاكمة: كانت الإدارة العثمانية تعتمد بشكل أساسي على النخب السنية في بغداد والموصل، مما منح هذه الفئات امتيازات تعليمية وإدارية لم تكن متاحة للأقليات والطوائف الأخرى.
- **تهميش الشيعة:** على الرغم من أن الشيعة كانوا يشكلون نسبة كبيرة من سكان العراق، إلا أنهم ظلوا مستبعدين إلى حد كبير من الإدارة العثمانية، وهو ما أدى إلى تراكم الإحباط والتمييز ضدهم، وهو الأمر الذي استمر حتى بعد استقلال العراق.(Cleveland & Bunton, 2016)
- **استقلالية الأكراد** :لم يتمكن العثمانيون من فرض سيطرة كاملة على المناطق الكردية في الشمال، حيث ظلت القبائل الكردية تتمتع بدرجة من الحكم الذاتي، مما أدى إلى نشوء هوية كردية مستقلة بدأت تأخذ طابعاً قومياً في أواخر القرن التاسع عشر .(Tejel, 2009)

تعزيز الروابط القبلية

ساهمت السياسات العثمانية في تعزيز الانقسامات القبلية بدلاً من بناء مجتمع مدني موحد. فقد اعتمد العثمانيون على نظام الالتزام، حيث تم منح شيوخ القبائل سلطة كبيرة في إدارة مناطقهم، مما أدى إلى ترسيخ فكرة أن القبيلة هي الوحدة الأساسية في المجتمع، وليس الدولة (Fattah & Caso, 2009) .

نحو هوية وطنية عراقية: البدايات الأولى

على الرغم من هذه الانقسامات، إلا أن التجربة العثمانية لم تكن مجرد تجربة تفكك وانقسام، بل ساهمت أيضًا في خلق وعي قومي أولي بين العراقيين، خاصة بين النخبة المثقفة. بحلول أوائل القرن العشرين، كانت الأفكار القومية قد بدأت في الانتشار بين المثقفين العراقيين، الذين رأوا في الحكم العثماني عائقاً أمام تطور العراق سياسياً واقتصادياً .(Dawisha, 2005)

ساعدت الصحافة والتعليم الحديث على تعزيز هذا الوعي الجديد، حيث بدأ العراقيون في تبني خطاب وطني مشترك يدعو إلى الاستقلال والتخلص من الهيمنة العثمانية. ومن أبرز المؤشرات على هذا التحول:

- نشأة الجمعيات القومية السرية مثل جمعية العهد، التي ضمت ضباطاً عراقيين في الجيش العثماني وسعت إلى تحقيق الاستقلال العربي .(Fattah & Caso, 2009)
- انتشار الأدب الوطني، حيث استخدم شعراء مثل معروف الرصافي وجميل الزهاوي كتاباتهم لتعزيز مشاعر الانتماء الوطني بين العراقيين.(Tripp, 2000)

• إحياء التاريخ القديم للعراق، حيث بدأ المفكرون العراقيون في التركيز على التراث البابلي والآشوري والإسلامي كجزء من هوية العراق الوطنية.(Cleveland & Bunton, 2016)

مع دخول العراق القرن العشرين، كانت التأثيرات التي خلفتها الحركات القومية والانتفاضات في القرن التاسع عشر واضحة على المشهد السياسي والاجتماعي. فبينما أسهمت هذه الأحداث في إضعاف الحكم العثماني وخلق وعي قومي جديد، إلا أنها أيضاً تركت إرثاً من الانقسامات الطائفية والقبلية التي جعلت بناء دولة عراقية موحدة أمراً صعباً. ومع ذلك، فإن هذه التجربة الطويلة في مقاومة الحكم العثماني ساعدت العراقيين على الاستعداد لمعاركهم اللاحقة من أجل الاستقلال، وساهمت في خلق هوية وطنية عراقية ستتبلور بشكل أوضح في العقود التالية.

الخاتمة والاستنتاجات

بعد دراسة وتحليل الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر، والبحث في العوامل التي أدت إلى نشأتها، ودورها في تشكيل المشهد السياسي والاجتماعي، توصل البحث إلى عدة نتائج رئيسية يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١. بروز الحركات القومية في العراق كان نتيجة مباشرة لسياسات الدولة العثمانية الإصلاحية والمركزية,أظهرت الدراسة أن محاولات الدولة العثمانية في فرض سيطرة مركزية أقوى على العراق من خلال الإصلاحات الإدارية والتنظيمات(1876–1839) ، مثل التجنيد الإجباري، ونظام تسجيل الأراضي الجديد، وتقليل نفوذ الزعامات المحلية، أثارت ردود فعل قوية من القبائل العراقية والزعامات الدينية والتجارية، مما أدى إلى نشوء أولى الحركات المقاومة التي يمكن اعتبارها الأساس الأولي للحركات القومية اللاحقة.

٢. الانتفاضات القبلية والحركات المناهضة للعثمانيين لم تكن قومية بالمعنى الحديث، لكنها ساهمت في بناء وعي سياسي جديد رغم أن معظم التمردات التي اندلعت في العراق خلال القرن التاسع عشر، مثل ثورة كربلاء (١٨٤٣)، والمقاومة القبلية في جنوب العراق، وانتفاضات العشائر الكردية، لم تكن حركات قومية منظمة بالمعنى الحديث، إلا أنها رسخت ثقافة المقاومة ضد السلطة المركزية، ومهدت الطريق أمام النخب الفكرية لاحقاً لتطوير خطاب قومي يطالب بالاستقلال أو الحكم الذاتي.

٣. ظهور نخبة عراقية متعلمة ساعد في نشر الفكر القومي وتطوير مفاهيم الهوية الوطنية مع إدخال التعليم الحديث والصحافة خلال القرن التاسع عشر، بدأت تتشكل نخبة عراقية متعلمة تأثرت بالأفكار القومية في بلاد الشام ومصر، وساهمت في نشر الوعي القومي بين العراقيين. وكان تأسيس جريدة الزوراء عام ١٨٦٩ في بغداد نقطة تحول في نشر الأفكار القومية المبكرة،

حيث وفرت منبراً لمناقشة قضايا الهوية العربية والإصلاح السياسي، وبرز دور المفكرين والأدباء مثل معروف الرصافي وجميل الزهاوي في تشكيل الوعي القومي.

٤. تطور القومية الكردية في العراق خلال القرن التاسع عشر جاء كرد فعل على السياسات العثمانية والفارسية, أظهرت الدراسة أن الأكراد في شمال العراق كانوا يسعون منذ وقت مبكر إلى الحفاظ على استقلاليتهم، خاصة بعد تفكيك الدولة العثمانية للإمارات الكردية المستقلة مثل إمارة بابان وسوران .وكان تمرد الشيخ عبيد الله النهري عام ١٨٨٠ هو أول حركة كردية تحمل مطالب سياسية واضحة تسعى إلى تأسيس دولة كردية مستقلة، لكنه قوبل بالقمع العثماني. رغم ذلك، ساعد هذا التمرد في إرساء أسس القومية الكردية الحديثة، والتي تطورت لاحقاً في القرن العشرين.

٥. التمييز الطائفي والإداري في ظل الحكم العثماني أسهم في ترسيخ الفجوة الاجتماعية بين السنة والشيعة,كشفت الدراسة أن السياسات العثمانية أسهمت في إعطاء الأولوية للنخب السنية في إدارة الدولة، بينما ظل الشيعة في العراق مستبعدين من المراكز الإدارية والتعليمية المهمة، مما خلق نوعاً من الإقصاء السياسي والاجتماعي الذي استمر حتى مراحل لاحقة، وساهم في تعزيز مطالب المساواة السياسية في العراق خلال القرن العشرين.

٦. أثر هذه الحركات امتد إلى القرن العشرين، حيث مهدت الطريق لثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني,أكدت الدراسة أن التجربة الطويلة للعراقيين في مقاومة العثمانيين أسهمت في بناء إرث من المقاومة والاستقلالية، ساعد لاحقاً في تحفيز العراقيين على التصدي للاحتلال البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى. فقد كانت ثورة العشرين (1920) امتداداً طبيعياً للمقاومة التي خاضها العراقيون ضد العثمانيين خلال القرن التاسع عشر، حيث توحد العرب والأكراد في المطالبة بالاستقلال.

٧. التعددية العرقية والطائفية في العراق جعلت من الصعب تطوير هوية وطنية موحدة خلال القرن التاسع عشر وجدت الدراسة أن العراق دخل القرن العشرين وهو لا يزال منقسماً بين هويات متعددة، حيث كانت هناك اختلافات بين العرب والأكراد، والسنة والشيعة، والقبائل وسكان المدن . ومع أن الفكر القومي بدأ في الانتشار بين المتعلمين، إلا أن الانقسامات الاجتماعية والسياسية التي ورثها العراق من الحكم العثماني جعلت عملية بناء الدولة الوطنية لاحقاً أكثر تعقيداً.

٨. فشل العثمانيين في فرض السيطرة الكاملة على العراق، مما جعل البلاد مهيأة للبحث عن بدائل للحكم العثماني كشفت الدراسة أن محاولات الدولة العثمانية لإدارة العراق عبر سياسات

مركزية صارمة قد فشلت في تحقيق الاستقرار، مما جعل العديد من العراقيين يبحثون عن خيارات أخرى للحكم، سواء من خلال الدعوة إلى الحكم الذاتي أو المطالبة بالاستقلال التام.

التوصيات:

بناءً على نتائج البحث، يمكن تقديم بعض التوصيات:

١. تعميق البحث في تأثير الفكر القومي في العراق خلال القرن التاسع عشر، خاصة من خلال دراسة النصوص الصحفية والأدبية التي نشأت في تلك الفترة.

٢. إجراء دراسات مقارنة بين الحركات القومية في العراق ونظيراتها في بلاد الشام ومصر، لفهم مدى التشابه والاختلاف بينها.

٣. توسيع دراسة القومية الكردية في القرن التاسع عشر، والتركيز على تطور الهويات السياسية داخل المجتمع الكردي في العراق خلال تلك الفترة.

٤. تحليل دور الإصلاحات العثمانية بشكل أعمق في تشكيل مواقف العراقيين تجاه الحكم المركزي، ومدى تأثيرها على تطور الحركات السياسية في البلاد.

دراسة التفاعل بين المكونات الطائفية والإثنية في العراق خلال القرن التاسع عشر، لفهم كيف أثرت هذه العلاقات على تشكيل الدولة العراقية الحديثة.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن الحركات القومية في العراق خلال القرن التاسع عشر لم تكن قومية بالمعنى الحديث، لكنها كانت جزءاً من تطور الوعي السياسي العراقي .فقد بدأت على شكل مقاومة محلية ضد الحكم العثماني، لكنها مع مرور الوقت تحولت إلى دعوات أكثر تنظيماً للحكم الذاتي والاستقلال .كما أن الإرث العثماني من التمييز الطائفي والسياسي ساهم في خلق تحديات استمرت حتى ما بعد استقلال العراق .وبهذا، فإن دراسة هذه الفترة لا تساعد فقط في فهم الماضي، بل توفر أيضاً رؤية أعمق لتفسير بعض التحديات التي واجهها العراق في مراحل لاحقة من تاريخه.

قائمة المصادر العربية

- أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د س.
- أحمد زكريا شلق: العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة، ط1، مصر للنشر والتوزيع القاهرة: 2002م.
- إسماعيل محمد حنفي: القومية و أثرها في المجتمع الإسلامي، مجلة دراسات دعوية، جامعة افريقيا العالمية، العدد 5 يناير 2002م.

- توفيق برو: القضية العربية في الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م)، ط1، طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، دمشق: سنة1989م.
- جورج انطونيوس: يقظة العرب، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت: سنة1987م.
- ساطع الحصري: أحاديث حول القومية العربية، منتديات الوحدة العربية، د ط، د س.
- عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت: د س، ج مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، د ط، د س.
- عدنان محمد زرزور: جذور الفكر القومي والعلماني، ط3، دار الكتاب الإسلامي بيروت: 1999م
- فردريك هرتز: القومية في السياسة و التاريخ، تر: عبد الكريم احمد، د ط، الهيئة العالمية لقصور الثقافة، القاهرة، د س.
- قدري قلعجي: الثورة العربية الكبرى، (1916م-1925م)، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان: 1994م
- محمد الغزالي: حقيقة القومية وأسطورة البعث العربي، ط 3، مصر للنشر والتوزيع، الجيزة :سنة 2005 م.
- منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، ط، دار الملايين، بيروت لبنان: 1992م.
- Cleveland, W. L., & Bunton, M. P. (2016). A History of the Modern Middle East (6th ed.). Westview Press.
- Dawisha, A. (2005). Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair. Princeton University Press.
- Eppel, M. (2004). The Palestinian Ethnonationalism in the Middle East: A History. University of Michigan Press.
- Fattah, H., & Caso, F. (2009). A Brief History of Iraq. Facts on File.
- Fieldhouse, D. K. (2006). Western Imperialism in the Middle East 1914–1958. Oxford University Press.
- Gelvin, J. L. (2011). The Modern Middle East: A History (3rd ed.). Oxford University Press.
- Harris, G. S. (1977). Ottoman War and Diplomacy in the Middle East, 1878–1882. State University of New York Press.
- Hourani, A. (1991). A History of the Arab Peoples. Harvard University Press.
- Khadduri, M. (1970). Independent Iraq: A Study in Iraqi Politics Since 1932. Oxford University Press.
- Makdisi, U. (2000). The Culture of Sectarianism: Community, History, and Violence in Nineteenth-Century Ottoman Lebanon. University of California Press.
- Polk, W. R. (2011). Understanding Iraq: The Whole Sweep of Iraqi History, from Genghis Khan's Mongols to the Ottoman Turks to the British Mandate to the American Occupation. Harper Perennial.
- Rogan, E. (2015). The Fall of the Ottomans: The Great War in the Middle East, 1914-1920. Basic Books.
- Sluglett, P. (2007). Britain in Iraq: Contriving King and Country, 1914-1932. Columbia University Press.
- Tejel, J. (2009). Le Mouvement National Kurde: 1898–1985. Karthala.
- Tripp, C. (2000). A History of Iraq. Cambridge University Press.

•Yapp, M. E. (1987). The Making of the Modern Middle East, 1792-1923. Longman.

List of Arabic Sources

•Ahmad Amin: *Reformist Leaders in the Modern Era*, n.d., Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, n.d.
•Ahmad Zakariya Shalaq: *The Arabs and the Ottoman State: From Submission to Confrontation*, 1st ed., Misr for Publishing and Distribution, Cairo: 2002.
•Ismail Muhammad Hanafi: "Nationalism and Its Impact on Islamic Society," *Da'wa Studies Journal*, International University of Africa, Issue 5, January 2002.
•Tawfiq Barru: *The Arab Question in World War I (1914–1918)*, 1st ed., Tallas for Studies, Translation, and Publishing, Damascus: 1989.
•George Antonius: *The Arab Awakening*, trans. Nasir al-Din al-Asad and Ihsan Abbas, 8th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayeen, Beirut: 1987.
•Sati' al-Husri: *Discourses on Arab Nationalism*, Arab Unity Forums, n.d., n.d.
•Abd al-Wahhab al-Kayyali: *The Political Encyclopedia*, n.d., Arab Institute for Research and Publishing, Beirut, n.d.
•Majd al-Din bin Muhammad bin Ya'qub al-Firuzabadi: *Al-Qamus al-Muhit* (The Comprehensive Dictionary), n.d., n.d.
•Adnan Muhammad Zarzur: *The Roots of Nationalist and Secular Thought*, 3rd ed., Dar Al-Kitab Al-Islami, Beirut: 1999.
•Frederick Hertz: *Nationalism in Politics and History*, trans. Abd al-Karim Ahmad, n.d., General Organization of Cultural Palaces, Cairo, n.d. • Qadri Qal'aji: *The Great Arab Revolt (1916–1925)*, 2nd ed., Al-Matbou'at Company for Distribution and Publishing, Beirut, Lebanon: 1994.
•Muhammad al-Ghazali: *The Reality of Nationalism and the Myth of Arab Ba'athism*, 3rd ed., Misr for Publishing and Distribution, Giza: 2005.
•Munir Ba'albaki: *Al-Mawrid Dictionary of Notable Figures*, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, Lebanon: 1992.
•Cleveland, W. L., & Bunton, M. P. (2016). A History of the Modern Middle East (6th ed.). Westview Press.
•Dawisha, A. (2005). Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair. Princeton University Press.
•Eppel, M. (2004). The Palestinian Ethnonationalism in the Middle East: A History. University of Michigan Press.
•Fattah, H., & Caso, F. (2009). A Brief History of Iraq. Facts on File.
•Fieldhouse, D. K. (2006). Western Imperialism in the Middle East 1914–1958. Oxford University Press.
•Gelvin, J. L. (2011). The Modern Middle East: A History (3rd ed.). Oxford University Press.
•Harris, G. S. (1977). Ottoman War and Diplomacy in the Middle East, 1878–1882. State University of New York Press.
•Hourani, A. (1991). A History of the Arab Peoples. Harvard University Press.
•Khadduri, M. (1970). Independent Iraq: A Study in Iraqi Politics Since 1932. Oxford University Press.
•Makdisi, U. (2000). The Culture of Sectarianism: Community, History, and Violence in Nineteenth-Century Ottoman Lebanon. University of California Press.

•Polk, W. R. (2011). Understanding Iraq: The Whole Sweep of Iraqi History, from Genghis Khan's Mongols to the Ottoman Turks to the British Mandate to the American Occupation. Harper Perennial.
•Rogan, E. (2015). The Fall of the Ottomans: The Great War in the Middle East, 1914-1920. Basic Books.
•Sluglett, P. (2007). Britain in Iraq: Contriving King and Country, 1914-1932. Columbia University Press.
•Tejel, J. (2009). Le Mouvement National Kurde: 1898–1985. Karthala.
•Tripp, C. (2000). A History of Iraq. Cambridge University Press.
•Yapp, M. E. (1987). The Making of the Modern Middle East, 1792-1923. Longman.